الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة مستغانـــــم

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها

أطروحة للحصول على شهادة الماستر LMD في الأدب العربي القديم الموسومة تحت عنوان:

الزهد في العصر العباسي (أبي العتاهية نموذجا)

من إعداد الطالبة:

ميموني فوزية

تحت إشراف الدكتور:

مكروم سعيد

السنة الجامعية: 2017-2018

إهـــــــــــداء

بكثير من الفخر والاعتزاز أهدي ثمرة جهدي وصراعي مع الليالي إلى سراج يضيء فضاء لا محدود، إلى أحن وأرقى ما خلق الله في الوجود، إلى نور عيني التي تحب أن تراني دائما في أعلى المراتب أمي الحبيبة أطال الله في عمرها.

إلى من علمني وربّاني وسهر الليالي ليرعاني، إلى من ضحى من أجلي وتواضع لرفع شأني، إلى الذي منحني الحرية والثقة في طلب العلم أبي العزيز حفظه الله ورعاه.

إلى جميع إخوتي وأخواتي الأعزاء وإلى كافة أفراد العائلة والأقارب.

إلى الكتكوتين "محمد أمين" و "يوسف" حفظهما الله ورعاهم، كما لا أنسى البرعومة "بشرى" أنار الله دربها.

إلى كل الأصدقاء الذين عرفتهم ولم يسعني ذكرهم.

إلى كل المعلمين والأساتذة الأفاضل الذين درّسوني وبالعلم زودوني.

كلمة شكر وعرفان

إن الشكر لله نحمده ونشكره على تفضّله علينا بنعمة العلم ثم وفقنا في إنجاز هذا العمل وما توفيقنا إلا بالله.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف " مكرم سعيد" الذي قدم لنا يد المساعدة وأرشدنا بتوجيهاته، كما أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء اللجنة المناقشة على قبولها مناقشة بحثي هذا رغم انشغالاتهم الكثيرة.

كما أتقدم بالشكر والعرفان إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث المتواضع ولو بالشيء البسيط.

يعد العصر العباسي من أهم الحضارات مفخرة للعرب وبلغ هذا العصر قمة الرقي والتطور الحضاري بفعل الامتزاج الثقافي بالشعوب الأخرى، حيث عرف نشاطا واسعا لم تعهده العصور السابقة له، ونتيجة هذا الازدهار الفكري الذي كان محطة أنظار الباحثين المهتمين بدراسة جوانب هذا العصر خاصة من الناحية الأدبية بصفة عامة والشعر بصفة خاصة.

وقد ظهرت في العصر العباسي تيارات فكرية كثيرة ونزعات عقلية لم تشهده العصور السابقة له، وامتازت بالتجديد والتنوع وكان التحول الفكري على الموجود في الساحة الفكرية آنذاك، لأنها نتاج لظروف سياسية واجتماعية وثقافية ودينية، لذلك ظهرت أغراض تناقض بعضها البعض كالمجون والزندقة والزهد، مما أدى بالشعراء إلى الدفاع عن دينهم ووجهات نظرهم الفكرية، ومنها غرض الزهد وهو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة، كما قيل أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك، والزهد ليس خمولا وانهزاما ولا تواكلا بل هو قوة ونضال وإيمان وقد بانت ملاحمه ومعالمه من قبل بعض الشعراء منهم "أبي العتاهية" وهو "إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان" كنيته "أبو إسحاق" ولقبه "أبو العتاهية".

وقد كانت نشأة أبي العتاهية بين طبقات الشعر الدنيا و وقوفه على أساليب حياته وثبات أمثالها ومعانيها، وما تتلخص فيه تجاربها من عبارات في نفسه وغريزته، ثم قيامه على تحصيلها ليكمل نقصه، كان من هذا وذاك مصدر غناه بالمعاني مما لم يكن يتاح لغيره من

الشعراء الذين لم يعيشوا عيشته ولم ينشؤوا نشأته، ومن هناك كان الذخر الهائل الذي وجده أبو العتاهية من المعاني دون سائر الشعراء ، وقد كان موفقا في استخدام هذه المعاني غاية التوفيق.

وفي هذا البحث حاولنا الإجابة عن عدة تساؤلات جالت في خاطرنا:

- ماهية الزهد ومفهومه وعوامل نشأته.
- ما هي دوافع أبي العتاهية إلى الزهد؟.
- ما هي مظاهر الزهد في شعر أبي العتاهية؟.

ومن بين الأسباب والدوافع التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع والمعنون بـ "الزهد في العصر العباسي أبو العتاهية نموذجا":

- رغبتي واهتمامي في التعرف على حقيقة الزهد ونشأته.
- أهمية موضوع البحث حيث أنه يشكل منعرجا مهما في المجال الأدبي.

واقتضت الدراسة أن نقسم هذا البحث إلى مقدمة ومدخل وفصلين؛ فالمدخل موسوما بماهية الزهد، بحيث جاء كتمهيد بغية التعرف على مصطلح الزهد لغة و اصطلاحا كما تطرق لمفهومه في الإسلام، أما الفصل الأول هو فصل نظري خصصناه لنشأة الزهد من خلال محاولة التعرف على عوامل نشأته وخصائصه وأقسامه ومراتبه، أما فيما يخص الفصل الثاني من هذا البحث والذي يعتبر الفصل التطبيقي فقد جاء تحت عنوان مظاهر

الزهد في شعر أبي العتاهية، بحيث عالج الخصائص الفنية لشعر أبي العتاهية وموضوعات الزهد عنده وكذا دوافع ومظاهر الزهد في شعره. وفي الأخير ختمنا بحثنا بخاتمة استخلصنا فيها زبدة ما جاء في الموضوع.

وفي هذه الدراسة اعتمدت على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- يحي الشامي، أروع ما قيل في الزهد.
- محمد عبد المنعم الخفاجي، الأدب العربي في العصرين الأموي والعباسي.
- إبراهيم إبراهيم ياسين، مدخل إلى التصوف الإسلامي.

وتجدر الملاحظة إلى أنه عند إنجازي لهذا البحث واجهتني مجموعة من الصعوبات والعراقيل منها ضيق الوقت المخصص للبحث، إضافة إلى قلة المصادر والمراجع المتخصصة في هذا البحث.

وفي هذا المقام لا يسعني إلا أن أقف وقفة احترام لأستاذي المشرف "مكرم سعيد" وأقدم له الشكر الجزيل على النصائح والإرشادات التي قدمها لنا، كما نشكره على صبره علينا طيلة فترة إنجاز هذا البحث.

أولا: تعريف الزهد لغة واصطلاحا

1. تعريف الزهد لغة

جاء في لسان العرب و القاموس المحيط أن لفظ "زهد" " الزهد" و "الزهادة " في الدنيا ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة. والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه و الزهيد: الحقير[1] ، وعطاء زهيد: قليل والزهيد: القليل، والضيق الخلق كالزاهد ،وقليل الأكل ،والوادي الضيق، وازدهده: عده قليلا [2].

ورد في تفسير هذه اللّفظة في المعاجم العربية مرتبطا بمعناها الديني ففي الصحاح "الزهد خلاف الرغبة في الشيء، ويقال فلان يتزهد بمعنى يتعبد"[3].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مج3، ج21، ص1876.

[2] الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد ، دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة،1429 هـ، 2008م، ص725.

[3] الصحاح للجوهري ، تحقيق :أحمد عبد الغفور عطار ، ط4، دار العلم للملايين ، بيروت ،1979، ج2، مادة زهد.

2. اصطلاحا

هو الكف عن المحارم و التوبة إلى الله وهو القناعة والاكتفاء بالحاجة والرضي بالقليل وصرف النظر عن الحياة وزينتها، وهو نهي النفس عن الهوى وتخلية القلب وصفاؤه ورقته[1].

الزهد: فن جديد نشأ في الشعر العباسي بتأثير كثرة الترف والدعوة إلى الرجوع إلى البساطة وتغليب النظر إلى جانب الفقراء، و نقد المجتمع على أن في شعر الزهد جانبا من جوانب الدين الذي يوجب البساطة في كل شيء [2].

الزهد ظاهرة نفسية كان لها أثر كبير في الشعر العربي فهو حنين الروح إلى مصدرها الأول و لمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا و متاعها و الرغبة عن نعيمها و تفضيل نعيم الآخرة عليها[3].

وعند الجرجاني: هو ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة ، و قليل أن يخلو قلبك مما خلت منه يدك، ويستدل من ذلك على أن الزاهد من ترك الدنيا وأعرض عنها وإن أقبلت

---

[1] يحي الشامي، أروع ما قيل في الزهد، دار الفضائل ، ط1430،1هـ_2009م، ص05.

[2] محمد عبد المنعم الخفاجي ،الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي ، د ط، دار الجيل ، بيروت ، 1410هـ، 1990م، ص202.

[3] سراج الدين محمد، الزهد في الشعر العربي، د ط ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان ، ص05.

عليه و انصرف عن ملذاتها و إن كانت بين يديه ، فلا يفرح بما آتاه منها و لا يحزن على ما فاته[1].

والزهد في الدنيا: هو ترك ما فيها من شهوات و مستلذات سواء ما كان منها مباحا أو محرما ، فالدنيا هنا عبارة عن النساء والبنين والمال والحلي والثياب والمراكب و المساكن والعقارات و المصانع وما نحو ذلك مما يحبه الناس ويرغبون في تحصيله واكتسابه أو يتمنونه ويحرصون على التوصل إليه أو ينافسون غيرهم فيه أو يحسدونهم عليه.

وليس المراد بالزهد في هذه الأمور تركها من أصلها أو تحريمها كلها أو محاربتها وإنما المراد به ألا يتعلق القلب بالمباح من ذلك فضلا عن المحرم منه و لا تكون المباحات مطلوبة لذاتها ، وإنما تطلب للاستعانة بها على طاعة الله ومراضيه وعلى اجتناب معصيته ولا يؤثر طلب المرء لها على دينه ولا يصده عن سبيله .

[1] ناجية ناجي دخيل الله السعيدي، الزهد في الشعر الأندلسي حتى أواخر القرن3هـ مقدمة للحصول على الماجستير في الأدب، ص 10.

ليس المراد بالزهد كذلك معاكسة الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولا حرمان النفس و والبدن من الحاجات الضرورية والمهمة التي أباحها الله ولا قوام لهما إلا بها .

ومع كثرة التعريفات للزهد إلا أن أجمع تعريف له هو ما ذكره شيخ الإسلام "ابن تيمه"رحمه الله حيث قال: الزهد المشروع ترك ما لا ينفع في الدار الآخرة. ويعد جامعا لأنه جمع بين الإعراض عن الدنيا و الحرص على الآخرة، وبين ترك ما في الدنيا من ملذات ومتع فانية و الإقبال على الآخرة بكل عمل صالح ينفع الإنسان يوم لا ينفع مال و لا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم[1].

ويعد الزهد كذلك الانصراف عن الشيء احتقارا له وتصغير لشأنه، للاستغناء عنه بخير منه قال تعالى: (وشروه بثمن بخس دَرَاهِمَ معدودة و كانوا فيه من الزاهدين). سورة يوسف الآية 20[2].

---

[1] ناجية ناجي دخيل الله السعيدي، المرجع السابق، ص11.

[2] أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، كتاب الزهد، ط1، 1430هـ، 1999، ص05، ص06.

وقال ابن الجلاء: "الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال ، فتصغر في عينك ، فيسهل عليك الإعراض عنها "[1].

يرى ابن الجلاء بأن الزهد هو معرفة الزاهد بأن الدنيا فانية و زائلة و لا تدوم و صغيرة لذا من واجبه الابتعاد عنها و عن شهواتها و ملذاتها والاتجاه إلى محبة الله سبحانه و تعالى.

وقال الإمام ا"لجنيد" رحمه الله تعالى:"الزهد استصغار الدنيا و محو أثارها من القلب."

وقال إبراهيم بن الأدهم رحمه الله :"الزهد فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد ، وهذا زهد العارفين ،وأعلى منه زهد المقربين فيما سوى الله تعالى من دنيا و جنة و غيرهما، إذ ليس لصاحب هذا الزهد إلا الوصول إلى الله و التقرب منه"[2].

فالزهد تفريغ القلب من حب الدنيا و شهواتها، وامتلاؤه بحب الله و معرفته وتخليص القلب من تعلقه بزخرف الدنيا و مشاغلها ، ولهذا اعتبر العارفون الزهد وسيلة للوصول إلى

[1] عبد القادر عيسى، كتاب حقائق عن التصوف، د ط، ص76.

[2] المرجع نفسه ، ص76.

الله تعالى و شرطا لنيل حبه ورضاه وليس غاية مقصودة لذاته[1].

الزهد هو الكف عن المعصية و عما زاد عن ا لحاجة وترك ما يبعد عن الله ، ثم الكف عن أمور الدنيا جميعا بتخلية القلب ... ومن ثم فانه يدل بوضوح على معنى أوسع

من القناعة و الورع) [2].

والزهد لا يقتصر على ذلك المعنى البسيط الذي تشير إليه معاجم اللغة، و إنما هو مفهوم معقد جدا إلى الدرجة التي لا تمكن كثيرا من الباحثين من القول فيه يقول فصل في مسماه و لا في معناه، و لا في نشأته و تطوره و لا في ماهيته و أبعاده فكثرت في ذلك الأقوال، وتعددت متقاربة أحيانا ومتعددة أحيانا أخرى[3].

---

[1] الشيخ عبد القادر عيسى، المرجع السابق، ص76

[2] بان حميد فرحان ، شعر الزهد – النشأة و التطور دراسة تحليلية نقدية – مجلة كلية الآداب، العدد103، ص69.

[3] محمد بركات البيني، الزهاد والمتصوفون، د ط، دار النهضة العربية، 1993، ص 07.

ثانيا: مفهوم الزهد في الإسلام

للإسلام مفهوم خاص بالزهد فهو ليس رهبانية أو انقطاعا وإنما هو معنى يتحقق به الإنسان، يجعله صاحب نظرة خاصة للحياة الدنيا، يعمل فيها و يكد، و لكنه لا يجعل لها سلطانا على قلبه، و لا يدعها تصرفه عن طاعة ربه.

و لذلك ليس من شرط الزهد في الإسلام أن يكون مقترنا بالفقر، بل قد يتفق للإنسان الغنى و الزهد معا، وكان "عثمان بن عفان" رضي الله عنه و "عبد الرحمن بن عوف" من كبار الأغنياء و لكنهما كان زاهدين فيما يملكان.

وقد عرف أحد الصوفية الزهد الإسلامي بقوله:[1] "أن تكون معرضا عما تملك، لا أن تكون معرضا عما لا تملك فإن من لا يملك شيئا فيم يكون زاهدا".

إن الزهد في الإسلام معناه ارتفاع الإنسان بنفسه فوق شهواتها ، و هذا معناه أن يتحرر تماما من كل ما يعيق حريته، و هذا الزهد مستمد من أدب القرآن و سنة النبي صلى الله عليه و سلم و صحابته ، ولم يكن الزهد عند النبي – صلى الله عليه وسلم– و صحابته

[1] إبراهيم إبراهيم ياسين، مدخل إلى التصوف الإسلامي ، دار و مكتبة الإسراء للطبع و النشر و التوزيع، ط1، 2005، ص75.

ليعني انصرافا تاما عن الدنيا ، و إنما كان يعني الاعتدال أو التوسط في الأخذ بأسبابها و ملذاتها ، و هذا ما أشار إليه في قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا). وفي قوله أيضا:(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا).

وورد في الأثر أيضا "اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا"[1].

وكان صحابة الرسول صلى الله عليه و سلم نتيجة الزهد أقوياء على نفوسهم ، فلم يفتتنون بمال أو جاه ومن أمثلة ذلك ما يروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أنه حملت إليه كنوز كسرى فنظر إليها، و قال: "اللهم إني أعلم أنك تقول في كتابك الكريم: (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) و أمر بوضعها في بيت المال و لم يكن الزهد ليصرف المسلمين الأوائل عن حياة المجتمع ، بل كان يمدهم بطاقات روحية لا حصر لها تعينهم على حياة المجتمع ذاتها ، فلم يكونوا عبّادا للمال أو الجاه أو الشهوات ، و لذلك حققوا العدالة الاجتماعية في أسمى صورها [2].

الزهد في الإسلام إذن منهج في الحياة قوامه التقليّل من ملذات الحياة و الانصراف إلى الجاد من أمورها ، فتحقق بذلك حرية الإنسان المتمثلة في ارتفاعه فوق شهواته و أهوائه

[1] إبراهيم إبراهيم ياسين، المرجع السابق، ص75.

[2] المرجع نفسه، ص76.

بمحض إرادته ، مع قدرته في نفس الوقت على تحقيق تلك الشهوات والسير وراء هذه الأهواء ، و لكنه يمنعه من ذلك إيمان بقوى الله و بثوابه و عقابه في الآخرة.

الشعر الزهدي: كان نتيجة مركب النقص والحرمان الذي عنوا منه بعض الذين لم يبلغوا ما أرادوا من حياة ناعمة، يدلنا على ذلك أن أبا العتاهية و هو أشهر من عرف بهذا الشعر في هذه الفترة كان في نشأته ميالا للمزاح و اللهو؛ ينظم شعره في الخلافة و الغزل سواء كان انقلاب أبي العتاهية إلى الزهد عن طواعية و اختيار أو عن مركب الحرمان فإنه مبتدع هذا الغرض الشعري في هذه الفترة [1].

وقد لاقى هذا الفن رواجا عند المتصوفة و المستمسكين بعرى الدين كالفقهاء و المحدثين و أهل الزهد و الورع.[2]

[1] حامد حفني داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط2،1993، ص15..

[2] المرجع نفسه، ص 15.

المبحث الأول: مفهوم شعر الزهد و نشأته

سنحاول في هذا المبحث التطرف لمفهوم شعر الزهد من خلال إعطاء نظرة عامة عن تعريفه، ثم نعرج بعدها لنشأته التاريخية.

أولا: مفهوم شعر الزهد

ليس هناك مجال للشك من ارتباط حركة الزهد والتصوف بالفكر الديني الإسلامي والأوضاع الاجتماعية والسياسية الإسلامية في أنه لا صلة لنشأة تلك الحركة بأي مؤثر خارج البيئة الإسلامية، نقول هذا لأن بعضا من المستشرقين نسبوا نشوء هذه الحركة الإسلامية إلى عناصر أجنبية؛ يرتد بعضها إلى الرهبنة المسيحية ويرتد بعضها الآخر إلى البوذية الهندية، بينما يرتد بعضها الثالث إلى الفلسفة الأفلاطونية، قد يكون لهذه العناصر الأجنبية أو لبعضها تأثير في نمو الحركة وتشعباتها خصوصا في جوانب المبالغة والغلو التي ظهرت في فترات متأخرة من مسيرتها، أما مرحلة النشأة فهي مرحلة إسلامية خالصة[1].

لكن الزهاد لم يكونوا سلبيين تماما بل كانوا يعظون الحكام والخلفاء ويحذرونهم شرور التعلق بالدنيا الفانية، وكانوا يتوصلون إلى ذلك عن طريق الشعر كثيرا لما كان للشعر من

[1] مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش، م، م، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص54.

تأثير كبير في النفوس [1]. دخل أرطأة بن سمية على عبد الملك بن مروان فحذره الموت قائلا:

رأيت المرأة تأكله الليالـي كأكل الأرض ساقطة الحديد

وما تبق المنية حين تأتي على نفس ابن آدم من مزيـد

واعلم أنها ستكّر منـــي لتوفى نذرها بأبي الوليـــد

وكان شعراء الزهد يركزون على معان إسلامية كثيرة منها:

- **التوبة** وآيتها عند عبد الله المبارك (ت 181) بحيث يقول[2]:

رأيت الذنوب تميت القلوب ويتبعها الذل أزمانـــــها

وترك الذنوب حياة القلوب فاختر لنفسك عصيانـها

- **التوكل** وآيته القناعة بالله وحده دون سواه وفي هذا يقول سفيان الثورى(161)[3]:

إن كنت ترجو الله فاقنع به فعنده الفضل الكثير البشير

من ذا الذي تلزمه فاقـــة وذخره الله العلي الكبيـــر

[1] مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، المرجع السابق، ص 54.

[2] المرجع نفسه، ص 55.

[3] المرجع نفسه، ص 55.

- **القناعة:** وآيتها التعلق بغنى النفس لا بغنى المال من ذلك قول "بشير بن الحارث" (228هـ) [1]:

قالوا رضيت بذا؟ قلت القنوع غنـــى ليس الغنى كثرة الأموال والورق

رضيت بالله في عسري وفي يســري فلست أسلك إلا واضح الطـرق

- **الانصراف عن الدنيا:** لأن الدنيا غرورة خادعة ومن ذلك قول ريحانة التي لقبها الزاهد "إبراهيم بن الأدهم " (ت 160هـ) فإذا البكاء قد ترك في خدها خطا وعندما ذاكرها الدنيا والآخرة قالت[2]:

أرى الدنيا لمن هي في يــده عذابا كلما كبرت لديـــــــه

تهين الكرامات بها لصغـــر وتكرم كلما هانت عليـــــــه

إذا استغنيت عن شيء فدعه وخذ ما كنت محتاجا إليـــــه

- **ذكر الموت والخوف منه و البكاء على الأيام الخوالي،** وفي هذا يقول "محمود الوراق" (ت 230هـ) [3]:

بكيت لقرب الأجـل وبعد فوات الأمـــل

و واقد شب طـــرا يعقب شَبابا رَحـــل

---

[1] مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، المرجع السابق ، ص 55.

[2] المرجع نفسه، ص 55.

[3] المرجع نفسه، ص 56.

شَبَاب كَأَن لَمْ يَكُنْ وشَيْب كَأَنْ لَمْ يَزَلْ

طَوَاكَ يَشِيرُ البَقَـاءَ وحَلَ يَشِير الأَجَـلَ

ذكر الحساب والعقاب و الخوف منهما كما يقول أبو العتاهية (ت212هـ)[1]:

تَقَلَدَت العْظِام من الخَطَايَـا كَأنِي قَد أمنْت من العِقـــــــاب

بِأيةِ حُجَةِ أحْتَجُ يَـــــــوْمَ الحِسَابْ إذَا دُعَيْتُ إلَى الحِســاب

هُمَا أمْرانِ يُوضِحُ عَنْهُمَا لِي كِتابِي حِينَ أنْظُر فِي كِتَابـــــــي

فإما أن أخلد في نعيـــــم وإما أن أخلد في عـــــــــذاب

وهكذا كان الزهد يركز على المعاني الإسلامية التي تتعلق بالحياة و الموت والسلوك الإنساني الذي يتخذ من الموت وما بعده من نعيم الجنة، وجحيم النار سببا للاستقامة والقناعة والتعلق بالله تعالى والتوكل عليه[2].

ثانيا: نشأة شعر الزهد

1. نبذة تاريخية عن نشأة شعر الزهد

الزهد مرحلة سابقة مهدت لظهور التصوف غير أنه لا يعد مقاما في الطريق أو حالا من أحوال الصوفي، وإذا رجعنا إلى تاريخ الزهد في الإسلام نجد أنه انتشر في القرنيين الأول

[1] مصطفى السيوفي، المرجع السابق، ص 56.

[2] المرجع نفسه، ص 56.

والثاني هجري، خاصة بعد مقتل الخليفة "عثمان بن عفان" رضي الله عنه، ولعل الحروب الأهلية الطويلة الدامية والتطرف العنيف في الأحزاب السياسية وازدياد التراخي والاستهانة بالمسائل الخلقية وما عناه المسلمون من استبداد الحكام، عوامل حركت في نفوس الناس الزهد في الدنيا وقد حولت أنظارهم حول الآخرة ووضعت آمالهم فيها[1].

ولقد تركت هذه الأحداث وغيرها خاصة مقتل "الحسين" وانتقال الخلافة إلى بني أمية أثارا حادة في المجتمع العربي خاصة بالكوفة، كان من أبرزها ظهور فريق من الناس اعتزل القتال واعتزل الجهر بالعقيدة فانزوى في بيته وأظهر الزهد وكانت تعتمل في نفسه ثورة داخلية، والمرارة والحزن العميق لعجزه أن يصنع شيئا لإظهار حق أو دفع باطل، فظهر بذلك الزهد...الذي أدى بذلك إلى التصوف.

وقد عاش الكثير من الصحابة رضوان الله عليهم عيشة الزاهدين القانعين فالإمام "علي بن أبي طالب" كرّم الله وجهه يحكى عنه أنه لبث شهرا كاملا طعامه في كل يوم ثلاث تمرات، ولم يكن في بيته سوى سيفه ودرعه وقطيفه إن افترشها مع زوجته فاطمة بنت النبي – صلى الله عليه وسلم– لا تغطيهما، و إن تغطيا بها لم يجد فرشا و كان يطحن على الرحى ملء يده من الشعير ثم يتقاسمه مع فاطمة و يمضي اليوم بهما على ذلك[2] .

---

[1] عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التأويل، دار الأمير خالد، د ط، د ت، ص 91.

[2] المرجع نفسه، ص 91.

كان العرب في جاهليتهم يعيشون حياة وثنية مادية يطلقون فيها العنان لشهواتهم و غرائزهم و متعهم الحسية، و ظل حالهم كذلك حتى ظهر الإسلام بينهم مبشرا بقيم إنسانية جديدة من توحيد وعبادة و رجوع إلى الله و مجاهدة النفس عن عرض الدنيا و زخرفها، ونزوع إلى الفضائل التي ترتفع بكرامة الإنسان[1] .

وكان من شأن هذه القيم الإسلامية و أمثالها من الإخلاص لله و الانقياد إليه والتوجه إلى العمل الصالح، أن أخذ كثير من المسلمين في صدر الإسلام أنفسهم بالزهد في الدنيا، عاملين بحديث الرسول الذي يقول: "ازهد في الدنيا يُحبَّك اللَّه، وازهد في فيما في أيدي الناس يحبك الناس"[2].

وهكذا نرى في صدر الإسلام كثيرا من الصحابة ينصرفون عن متاع الحياة الدنيا ويحيون للنسك و الزهد و الابتهال إلى الله و التوكل عليه، و التطلع إلى ما وعد به عباده الصالحين، فنزعة الزهد لدى المسلمين هي في أصلها قيمة من قيم الإسلام الخالصة.

---

[1] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت – لبنان، د ط، ص 216.

[2] المرجع نفسه، ص 216.

2. عوامل نشأة شعر الزهد في الإسلام

اختلف أراء الباحثين من المستشرقين و غيرهم في العوامل التي أدت إلى ظهور حركة الزهد في الإسلام إبان القرنين الأول و الثاني للهجرة. فيرى "نيكو لسون" مثلا أن الزهد إسلامي النشأة، ولكنه متأثر إلى حد قليل بالمسيحية فيقول[1]: "ولكننا مع اعترافنا بأن المسيحية كان لها أثر في تشكيل التصوف في صورته الأولى لا نرى أن في أقوال متصوفة الزهاد من أمثال "إبراهيم بن أدهم" (ت161هـ) و "داود الطائي" (ت165هـ) و "الفضيل بن عياض" (ت167هـ) و"شفيق البلخي" (ت194هـ) ما يدل على أنهم تأثروا بالمسيحية أو بأي مصدر أجنبي آخر إلا قليلا". وبعبارة أخرى يبدو أن هذا النوع من التصوف (بقصد الزهد الذي يعتبر تمهيد للتصوف) كان أو على الأقل من المحتمل أنه كان وليدا لحركة الإسلام[2].

أما "جولد زيهر" فيرى أن ثمة تيارين في التصوف الإسلامي الأول الزهد، وهذا في نظره قريب من روح الإسلام ومذهب أهل السنة، وإن كان متأثرا إلى حد كبير بالرهبانية المسيحية

---

[1] إبراهيم إبراهيم ياسين، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع، ط 1، 2005، ص 77.

[2] المرجع نفسه ،ص 77.

والثاني التصوف بمعناه الدقيق وما يتصل به من كلام في المعرفة، الأحوال، المواجد والأذواق، وهو متأثر من ناحية بالأفلاطونية الحديثة ومن ناحية أخرى بالبوذية الهندية، ولذلك فإن الزهد الإسلامي في رأي "جولد زيهر" متأثر إلى حد كبير بالرهبانية المسيحية، وبذلك يرى هذان المستشرقان أن الزهد في الإسلام وليد عاملين أساسيين هما الإسلام ذاته ثم الرهبانية المسيحية مع اختلاف في مدى تأثير هذا العامل الأخير[1] .

ويرى "أبو العلا عفيفي" أن عوامل نشأة الزهد في الإسلام أربعة تتمثل فيما يلي:

أ. **العامل الأول: تعاليم الإسلام نفسه:** إن القرآن يحث على الورع والتقوى وهجر الدنيا وزخرفها، ويحقر من شأن هذه الدنيا ويعظم من شأن الآخرة، ويدعو إلى العبادة و قيام الليل والتهجد والصوم، ونحو ذلك مما هو صميم الزهد، والقرآن يصور الجنة والنار بصورة دفعت كثيرا من المسلمين إلى التفاني في العبادة طلبا للنجاة، وألقت الرعب في قلوب الآخرين خوفا من الوقوع في النار فقضوا الليالي في التوبة والاستغفار.

ب. العامل الثاني: ثورة المسلمين الروحية ضد نظام اجتماعي وسياسي قائم

ت. **العامل الثالث: الرهبنة المسيحية:** وفي رأيه أن العرب تأثروا قبل الإسلام بالرهبان المسحيين، واستمر تأثيرهم في زهاد المسلمين بعد ظهور الإسلام وكان تأثير الرهبنة في الناحية التنظيمية أكثر منه في ناحية المبادئ العامة في الزهد، تلك المبادئ التي ظلت

[1] إبراهيم إبراهيم ياسين، المرجع السابق، ص 77.

إسلامية في الصميم، و كثيرا ما نقرأ عن زيارات عباد المسلمين للرهبان في صوامعهم وأخذهم عنهم بعض تعاليمهم، ومن ذلك ما روي عن "إبراهيم بن الأدهم" تعلمت المعرفة من راهب يقال له "سمعان"[1].

ث. **العامل الرابع: الثورة ضد الفقه والكلام:** يرجع هذا العامل في رأيه إلى ظروف إسلامية بحتة، شأنه في ذلك شأن العاملين الأول والثاني؛ وذلك أن أتقياء المسلمين لم يجدوا في فهم الفقهاء والمتكلمين للإسلام ما يشبع عاطفتهم الدينية، ولعله قد تبين لنا من الآراء السابقة على أن الزهد من مصدر إسلامي أولا، ولكن الخلاف بين آرائهم هو في مدى تأثير المسيحية على نشأة الزهد[2].

ويوافق "إبراهيم إبراهيم ياسين" "أبو العلا عفيفي" على العاملين الأولين في نشأة الزهد وهما تعاليم الإسلام وثورة المسلمين على النظام السياسي و الاجتماعي في العصرين الأموي والعباسي، ولكننا نرى أن الرهبانية المسيحية لم تكن عاملا من عوامل نشأة الزهد الإسلامي وكذلك فإن ثورة المسلمين ضد الفقه والكلام لم تكن لها صلة بنشأة الزهد وإن كان لها أوثق الصلة بنشأة التصوف منذ القرن الثالث هجري وما بعدها. وفيما يلي نحاول بيان العاملين

---

[1] إبراهيم إبراهيم ياسين، المرجع السابق، ص 78.

[2] المرجع نفسه، ص 78.

الرئيسيين في نشأته، حيث في رأينا هما القرآن والسنة إضافة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية في القرنين الأولين للهجرة[1].

- **العامل الأول: القرآن والحديث**

إن العامل الأول والأساسي في نشأة الزهد في رأينا هو ما جاء في القرآن والسنة متعلقا ببيان حقارة الدنيا و زينتها وضرورة العمل الجاد من أجل الآخرة للظفر بثواب الجنة والنجاة من عذاب النار.

ومن الآيات والأحاديث الدالة على ذلك الآيات التي تشير إلى فناء الدنيا وضرورة الزهد فيها قوله تعال: (اعلموا إنّما الحياة الدّنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله و رضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور). سورة الحديد الآية 19[2].

ويصور القرآن طبيعة الإنسان في الميل إلى شهوات الدنيا في قوله تعالى : (قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى). سورة الأعلى الآية 14، 17.

---

[1] إبراهيم ابراهيم ياسين، المرجع السابق، ص 80.

[2] المرجع نفسه، ص 80.

و أيضا قوله تعالى: (كلاّ بل لا تكرمون اليتيم ولا تحظون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لمّا وتحبّون المال حبا جمّا) سورة الفجر[1].

من هذه الآيات القرآنية يمكن أن نستخلص ما يلي: يصور القرآن الكريم الحياة الدنيا على أنها لعب ولهو، وأنه لا دوام لها وهي متاع الغرور، ولما كان الإنسان بطبعه متأثرا بالدنيا وملذاتها، محبا للجاه والمال فإن عليه ألّا يستسلم لذلك، بل عليه بتزكية نفسه بالعبادة وسائر فرائض الدين ونهيها عن هواها باستمرار، فإذا فعل كان مثواه الجنة[2].

ومن الأحاديث النبوية التي تحث على الزهد في الدنيا قوله –صلى الله عليه وسلم– "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر" وقوله عليه الصلاة والسلام: (يقول العبد مالي مالي إنما له من ماله ثلاث ما أكل فأفنى أو لبس فأبى أو أعطى فأتقى وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس)[3].

ليس هناك شك في أن مثل هذه الأحاديث هي التي دفعت زهاد المسلمين في القرنين الأول والثاني من الهجرة إلى الزهد في الدنيا والعمل من أجل الآخرة والاكتفاء بالقليل من المطعم والملبس والمال والخوف المستمر من فتنة الدنيا والرغبة الأكيدة في الظفر بالجنة.

---

[1] إبراهيم إبراهيم ياسين، المرجع السابق، ص81.

[2] المرجع نفسه ، ص 82.

[3] المرجع نفسه ، ص 82.

➢ **العامل الثاني: الأحوال السياسية والاجتماعية**

كان للخلافات السياسية بين المسلمين منذ أواخر عصر الخليفة "عثمان بن عفان" رضي الله عنه أثر في مجال الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية للمسلمين، وبدأت تظهر العصبية القبلية مرة أخرى، واستمرت الخلافات السياسية في عصر الإمام "علي بن أبي طالب" وانقسم المسلمون بعد ذلك إلى شيعة وخوارج وأمويين ومرجنة، ولم يكن هذا الخلاف السياسي ليبتعد عن الدين لأن كل فريق من المتنازعين كان يلجأ إلى نصوص الدين دائما ليؤيد موقفه ويبرره، وهذا يدعو إلى فهم النصوص أو تأويلها تأويلا خاصا، عندئذ صار كل حزب سياسي فرقة دينية لها معتقداتها[1].

فإذا عرفنا أن عصر الأمويين قد شهد مظالم كثيرة و اضطهادات شديدة لخصومهم فإنه يكون من الطبيعي أن تقوى النزعة إلى الزهد و العزلة عند أفراد كثيرين.

يضاف إلى ما تقدم أن حياة المسلمين الاجتماعية في العصر الأموي تغيرت كثيرا عما كانت عليه في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم– و الخلفاء الراشدين، فقد فتح المسلمون بلدانا كثيرة، وبدأ الثراء يظهر في المجتمع الإسلامي مقترنا بحياة الترف وما قد تتبعه من انحراف خلقي، وهذا وجد المسلمون أن من واجبهم دعوة الناس إلى ما كان عليه السلف من

[1] إبراهيم إبراهيم ياسين، المرجع السابق، ص86.

تقلل و زهد و ورع وعدم الانغماس في الشهوات. إذن شهد القرن الأول هجري ظهور حركة الزهد الإسلامية و انتشارها نتيجة لهذه الاضطرابات السياسية و التحولات الاجتماعية[1].

يوضح لنا هذا العامل الحياة الاجتماعية المتغيرة التي حدثت في المجتمع الإسلامي نتيجة الفتوحات الإسلامية حيث كثرت الغنائم في أيدي المسلمين فأصابوا منها الكثير، فأقبلوا على الدنيا بما فيها من متع ولهو، هذا الإقبال الشديد على الدنيا أدى في نفوس بعض المسلمين شيئا من الانقباض ثم في النهاية العزلة، وعدم المشاركة في هذه الحياة الجديدة خوفا من رب العزة سبحانه و تعالى ومن عقابه، وعلى رأس هذه الفئة الصحابي الجليل "أبو ذر الغفاري" الذي قام بتبصير المسلمين بسوء الحياة الجديدة، و يحذرهم من هذا الثراء الذي أقبل عليهم و يلفت أنظارهم نحو إخوانهم الفقراء الذين لا يجدون ما ينفقون على متطلبات حياتهم الأولية[2].

تتجمع أراء الدارسين حول عدد من الأسباب و الدوافع يرجعون إليها ظهور نزعة الزهد في الإسلام، فيرى "جولد تسيهر" أن الميل إلى الزهد كان مرتبطا بالثورة على السلطة القائمة، وهكذا لجأ كثير من المسلمين إلى حياة الاعتكاف احتجاجا على ما ينكرونه من الحكومة[3].

---

[1] إبراهيم إبراهيم ياسين، المرجع السابق، ص89.

[2] عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، مكتبة مدبولي، ط1 1989،1، ط 2 1999، ، ص54.

[3] محمد بركات، الزهاد و المتصوفة بلاد المغرب و الأندلس حتى القرن الخامس هجري، دار النهضة العربية، القاهرة، د ط، 1993، ص18.

ويرى "نيكلسون" أنه قد انفرد القرن الأول في الإسلام بالعوامل الكثيرة التي شجعت على ظهور الزهد وانتشاره، فالحرب الأهلية الطويلة الدامية التي وقعت في عهد الصحابة وبني أمية و التطرف العنيف في الأحزاب السياسية و ازدياد التراخي والاستهانة في المسائل الخلقية، و ما عناه المسلمون من تعسف الحكام و المستبدين الذين يملون إرادتهم وأرائهم الدينية على غيرهم ممن أخلصوا في إسلامهم، و رفض هؤلاء الحكام علانية كل فكرة تتصل بالخلافة الدينية التي حاول المسلمون إرجاعها، كل هذه العوامل حركت في نفوس الناس الزهد في الدنيا و متاعها وحولت أنظارهم نحو الآخرة، ووضعت آمالهم فيها ومن هنا ظهرت حركة الزهد قوية عنيفة وانتشرت على مر الأيام زهدا دينيا خالصا.[1]

الزهد من الأغراض التي راجت في الشعر العربي الغنائي، و كان للإسلام أثر بيّن في ظهوره و رواجه، ذلك لأن الدين عموم و الإسلام خصوصا يحث على الزهد، البساطة، القناعة، الانصراف عن الدنيا والرغبة في الآخرة التي هي وحدها دار القرار، إضافة إلى أثر الإسلام ثمة عاملان اثنان كان لهما تأثير بيّن في شعر الزهد، أولهما العامل السياسي خصوصا في العصر العباسي؛ هذا العامل المتمثل في انصراف عدد من الشعراء إلى قول شعر الزهد تقية بعيدا عن المسائل السياسية، الدينية، المذهبية، الفكرية والكلامية، أما الثاني اجتماعي أخلاقي متمثل في ظهور طائفة من الشعراء الذين ساءهم شيوع اللهو والمجون

[1] محمد بركات البيلي، المرجع السابق، ص18.

والغناء، فما كان باستطاعتهم الوقوف في وجه هذه الظاهرة، فعكفوا على ذواتهم و راحوا يعبرون عن نقمتهم وذلك بالإخلاص لنفوسهم و بالتعبير عن ذواتهم بأروع شعر الزهد[1].

ولا ريب أن هناك عوامل متضافرة أدت إلى شيوع الزهد و اتساع دائرته حتى يصل إلى ما وصل إليه في القرن الثاني، و لعل أقوى هذه العوامل هو العامل الاقتصادي ذلك لأن الهوة بدأت تتسع في المجتمع الإسلامي بين الأغنياء والفقراء، و إذا أخذنا بغداد نموذجا لما وصل إليه أمر الثروة في القرن الثاني وجدنا ذلك التناقض الاجتماعي البارز فبينما هناك الحكام والوزراء والقواد والأعوان غارقون في النعيم تصخب قصورهم بألوان الترف، و يفتتنون في الملبس والمأكل والمركب ويتنافسون في اقتناء الجواري والعبيد، و هناك المعدمون الذين لا يجدون قوت يومهم حتى قيل لهم أن بغداد مدينة الأثرياء ولا مكان فيها للفقراء. وقد أعطانا بعض الشعراء صورة لهذا التناقض بين الغنى و الفقر في بغداد فقال[2]:

بَغْدَادَ دَارَ طَيبِهَا آخِـــــــذ نَسِيمَهَا منى بِأَنْفـــــاسِ

تَصْلِحُ لِلْمَوسِمِ، لا لامـــــرئ يَبِيتُ فِي فَقْرِ و إفـــلاس

لَوْ خَلهَا قَارُون ربِّ الغِنَـــــى أَصْبَحَ دَاهَمْ ووسْـــــوَاسِ

[1] يحي الشامي، المرجع السابق، ص08.

[2] فوزي عيسى، فوزي أمين، المرجع السابق، ص75، 76.

هَيَا التِي نُوعِدُ، لَكِنَهـــــــــا عاجِلَةُ للطَاعِمِ الكَـــأْسِ

حُورن وولْدَانْ و مِنْ كُلِ مـــــا نَطْلُبُهُ فِيهَا سِوَى النَـــاسِ

المبحث الثاني: خصائص شعر الزهد وأقسامه

أولا: خصائص شعر الزهد

امتلك شعر الزهد خصائص جعلته شعرا محببا إلى عامة الناس وكثير من خاصتهم، ومن أهم تلك الخصائص سهولة الألفاظ وبساطة الأسلوب، وقد قربه ذلك من النثرية، فأحس الناس في ذلك العصر بهذه النثرية في شعر"أبي العتاهية" الزهدي بحيث روي "أن مسلمة بن الوليد" لقيه فقال له: واللّه لو كنت أرضى أن أقول مثل قولك[1]:

الحمد و النعمة لك والملك لا شريك لك

لبيك إنك الملك

لقلت في اليوم عشرة آلاف بيت و لكني أقول[2]:

مُوفَ عَلى مَهْجِ فِي يَومِ ذِى رَهَجِ كأنَهُ أَجَلُ يَسْعَى إلَى أمَلِ

فرد عليه أبو العتاهية بقوله: قل مثل قولي، أقل مثل قولك، وقد تبع النثرية في الشعر الزهدي خصيصة أخرى هي المباشرة في الأسلوب و تجنب الوسائط كالصورة و المجاز، وقد قربته هذه الخصيصة في إفهام الناس وحببته إليهم، فالمعاني التي يراد التعبير عنها مباشرة

[1] مصطفى محمد السيوفي، المرجع السابق، ص68.

[2] المرجع نفسه، ص69.

تبرز واضحة جلية لا غموض فيها و لا تعقيد. كما امتاز ذلك الشعر باحتوائه على أسلوب تعليمي يقصد منه النصح والإرشاد كما في قول "البهلول" في عصر الرشيد [1]:

دَعْ الحِرْصَ عَلىَ الدُنْيَا وفِي العَيْشِ فلَا تَطْمَعْ

و لَا تَجْمَعْ مِن المــَالِ فَمَا تَدْرِيْ لِمَنْ تَجْمــَعِ

فَقِيرُ كُلَ ذِي حَـــــرَصِ غِنَى كُلَ مَن يَقْنَـــــعِ

وقد تأثر شعر الزهد بالقرآن الكريم في بعض جوانبه الأسلوبية من ذلك قول أبي العتاهية[2]:

يَا عَجَبَا كُلُنَا يَحِيدُ عَنْ الحَنِينِ وكُل لِحَنِيـــــــنِهِ لَاقِـــي

كَأنَ حَيًّا قَدْ قَامَ نَادِبـــــــــهُ والْتَفَتْ السَاقُ مِنْهُ بالسَاقِ

واسْتَلَ مِنْهُ حَيَاتَهُ مَلِكُ المَـوتِ مَوتَ خَفِيًّا وقِـيلَ: مَن رَاَقِ

فالشطر الثاني في كل من البيتين الثاني والثالث اقتباس من قوله تعالى: (كَلَّا إِذَا بَلَغَت التَّرَاقِي (26) و قِيلَ من رَاقٍ (27) وظَنَّ أَنَّهُا الفِرَاقُ(28) والْتَفَتِ السَاقُ بالسَّاقِ(29) إِلَى ربِّكَ يَوْمَئْذِ المَسَاقُ(30)). سورة القيامة، وقد امتاز أبو العتاهية في شعره الزهدي خاصة بطول النفس إذ جاءت قصيدته المعروفة "بذات الأمثال" طويلة جدا، فقد ذكروا أن عدد أبياتها أربعة

[1] مصطفى محمد السيوفي، المرجع السابق، ص69.

[2] المرجع نفسه، ص70.

ألاف بيت وهي أرجوزة على الشعر المزدوج الذي لا يراعي وحدة القافية إلا في صدر البيت وعجزه ومنها قوله[1]:

حَسْبُكَ مِمَا تَبْتَغِيهِ القُوتُ مَا أَكْثَرَ القُوتَ لِمَنْ يَمُوت

الفُقْرَ فِيمَا جَاوَزَ الكِفَـافَا من اتَقَى اللَّهَ رَجَا وخَــافَا

ويعد هذا تجديدا موسيقيا لجأ إليه الشاعر ليتخلص من حدة القافية الموحدة التي لا تعطيه مجالا للطول الذي يريده، وكان أبو العتاهية يخرج أحيانا على أوزان العروض المستعملة فإذا ما روجع في ذلك قال: أنا أكبر من العروض[2].

وتجدر الملاحظة إلى أن الزهد تميز في القرنين الأول والثاني بعدة خصائص نذكر منها ما يلي:

- أنه يقوم على أساس فكرة مجانية الدنيا من أجل الظفر بثواب الآخرة واتّقاء عذاب النار متأثر في ذلك بتعاليم القرآن و السنة، وبالظروف السياسية و الاجتماعية السائدة في المجتمع الإسلامي آنذاك .
- أنه زهد ذو طابع عملي ولم يعنى الصحابة بوضع القواعد النظرية له، ومن وسائله العملية العيش في هدوء وبساطة تامة، والتقليل من المأكل والمشرب إضافة إلى الإكثار من العبادات والنوافل والذكر مع المبالغة في الشعور بالخطيئة والخضوع

[1] مصطفى السيوفي، المرجع السابق، ص70.

[2] المرجع نفسه، ص 70.

المطلق لمشيئة الله ، وبهذا فإن الزهد يهدف إلى غاية أخلاقية[1].

- لقد كان يتخذ الخوف من الله دافعا وهو خوف يبعث على العمل الديني الجاد، على أنه ظهر له دافع آخر في أواخر القرن الثاني عند "رابعة العدوية" وهو الحب لله المنزه عن الخوف من عقابه والطمع في ثوابه في آن واحد، وهو يعبر عن إنكار الذات وعن التجرد في علاقة الإنسان بالله.
- إن زهد بعض المتأخرين من الزهاد خصوصا في "خراسان" وعند "رابعة العدوية" لما تميز به من تعمق في التحليل أن يعتبر مرحلة تمهيدية للتصوف[2].

ثانيا: أقسام شعر الزهد ومراتبه وحكمه

للزهد أقسام ومنها ما عدّدها بن القيم للزهد بحيث تتمثل هذه الأقسام فيما يلي:

- زهد في الحرام وهو فرض عين.
- الزهد في الشبهات وهو بحسب مراتب الشبهة فإن قوّيت التحق بالواجب وإن ضعفت كان مستحبا.
- الزهد في الفضول وهو زهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وزهد في الناس وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في لله.

---

[1] أبو الوفا الغنيمي التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي والتوزيع، ط 3، ص 90.

[2] المرجع نفسه، ص90.

- زهد جامع لذلك كله وهو الزهد فيما سوى الله وفي كل ما يشغلك عنه وأفضل الزهد
- إخفاء الزهد وأصعبه الزهد في الحظوظ[1].

وقال في طريق الهجرتين ما ملخصه، أن الزهد أربعة أقسام :

- أحدها فرض على كل مسلم وهو الزهد في الحرام
- زهد مستحب وهو على درجات في الاستحباب بحسب المزهود فيه وهو الزهد في المكروه وفضول المباحات و التفنن في الشهوات المباحة.
- زهد الداخلين في هذا الشأن وهم المشمرون قي السير إلى اللّه.

وقال الإمام أحمد أيضا: الزهد على ثلاثة أوجه: الأول ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص و الثالث ترك ما يشغل عن اللّه و هو زهد العارفين[2] .

---

[1] وكيع بن الجراح، كتاب الزهد، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ج1، د، ط، د، د ت، ص125.

[2] أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، كتاب الزهد، ط1، 1430هـ- 1999م، ص06.

المبحث الأول: طبيعة الزهد في شعر أبي العتاهية

سنتناول في هذا المبحث دراسة الخصائص الفنية لشعر أبي االعتاهية وموضوعات الزهد في شعره وكذا الدوافع التي دفعته إلى الزهد.

أولا: خصائص شعر أبي العتاهية وموضوعاته

1. الخصائص الفنية لشعر أبي العتاهية

هناك أربع خصائص فنية يمتاز بها شعر أبي العتاهية وتتمثل هذه الخصائص فيما يلي[1]:

- سهولة الألفاظ وهي مذهبه في جميع قصائده.
- رشاقة التعبير وهي من مزايا الشعراء المطبوعين ويراد بها البعد عن التكلف و التعقيد فإذا قرءنا قصائد أبي العتاهية نجدها رشيقة المبنى تسيل عذوبة.
- سرعة الخاطر وما يقترن بذلك أحيانا من الركاكة.
- عدم التفنن في الخيال ولا أريد بالخيال هنا اللطائف الشعرية فقط من تشبيه واستعارة و

[1] أنيس المقدس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، ط20، شباط فبراير، ص166،167.

- كناية، بل أعني الخطة أو الصورة التي يتخيلها الشاعر فيحمل الناس عليها إلى عرضه، فإذا طالعنا ديوان أبي العتاهية لا نجد فيه إلا موضوعا واحدا يحوم حوله ويعرضه علينا يكاد يكون واحد وصف القبور وأهوالها، فناء الأعراض الدنيوية، فساد الإنسان وعقاب الآخرة. ولم يكن شاعرنا كثير الافتتان في إنشاده بل كان له وتر واحد ينقر عليه نغمات متماثلة مؤثرة و لكنها خالية من سعة التخييل والنفوذ إلى مناطق الحياة الحقيقية[1].

يعد أبو العتاهية إمام الشعراء الزّهاد في زمنه وقد بدأ حياته لاهيا ماجنا، غير أنه تحول إلى حياة الزّهد، وقد أختلف الدارسون في تحليل هذا التحول، فمنهم من ردّ ذلك إلى فشله في حبه و حرمانه من صاحبته؛ ومنهم من قال أنه تّزهد بسبب فقره وضعة أصله، ومنهم من زعم أنه ناسك الظاهر، خبيث الدين، اتخذ من الزهد وسيلة للوصول إلى عامة الشعب، ونشر الدعوة إلى المذلة والخضوع و القعود بينهم، ومن يقرأ زهد أبي العتاهية يلاحظ أنه مطبوع بطوابع السلبية والاستسلام و التشاؤم، فقد أمضى نحوا من ثلاثين عاما ينعي الحياة إلى أهلها و يبكيها ويندبها مهولا رقدة الموت الأبدية ومنغصا على من يسمعه كل لذة له وكل نعيم، فالناس يلدون ليموتوا، وما يبنونه سيؤول إلى الخراب و الدّمار، فالأجل

[1] أنيس المقدس، المرجع السابق، ص168،171.

قصير والمنايا راصدة، والموت وحش مفترس يطارد الإنسان[1].

ويحدد أبو العتاهية معالم طريق الزهد التي ينبغي أن يسلكها الزهاد، وهذه المعالم تؤسس على عناصر أساسية كالتقشف، واعتزال الناس، واستحضار التاريخ للعبرة و التأسي، ويعبر أبو العتاهية عن ذلك فيقول[2]:

رغيف خبز يابس تأكله في زاويـــة

وكوز ماء بـــارد تشربه من صافية

وغرفة ضيقـــة نفسك فيها خاليــة

فقد تحول أبي العتاهية من حياة اللهو إلى حياة الزهد، وظل نحو ثلاثين عاما يتغنى بالكأس الخالدة كأس الموت الدائرة على الخلق، فالكل مصيره إلى الفناء والكل وشيك الزوال والكل سيصبح ترابا في تراب، يقول[3]:

لِدُو للمَوتِ وابْنو للخَرَاب فَكُلكُمْ يَصِيرُ إلَى تَبَاب

---

[1] عادل جابر، شفيق الرقب، تاريخ الأدب العربي القديم، دار صفاء، د ط، عمان، 1990، ص84.

[2] فوزي عيسى، فوزي أمين، المرجع السابق، ص382.

[3] ديوان أبي العتاهية، المرجع السابق، ص23.

ويقول[1]:

النَاسُ فِي غَفْلاتِهِـــمْ ورَحَى المنِيَّة تَطْحَنُ

و يقول[2]:

كل حَيَّ عند مِيتَتِـــهِ حظُّة مِنْ مَالِه الكَفنُ

ويقول[3]:

بَيْن عيْنِي كلِّ حَـــيّ عَلَمُ المَوْت يَلــوُحُ

نحُ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْ كِينْ إنْ كُنْتَ تَنُوحُ

و لعله من أجل هذا الإحساس آمن بالخير و الاضطرار، إذ الإسلام لا ينعي إلى الناس حياتهم و لا يصورها لهم في كروب أبي العتاهية التي تخنق الأنفاس و التي تجعله يقف طويلا عند سكرات الموت و ما يعانيه المحتضر من آلام، كما يجعله يقف عند نزلاء القبور والقبور نفسها يسألها عن أصحابها مسجلا أن ذوي السلطان يستوون مع السوقة في الموت و أن الطبيب كثيرا ما يسبقه مريضه إلى ساحته، يقول[4]:

و قَلْبُكَ دَاوِي الطَبِيبُ المرِيض فَعاشَ المَرِيضُ و مَاتَ الطَبِيب

---

[1] شوقي ضيف، العصر العباسي – تاريخ الأدب العربي – ،ج 3، ط 12، دار المعارف، ص249.

[2] المرجع نفسه، ص 249.

[3] المرجع نفسه، ص 249.

[4] المرجع نفسه، ص249

وهو يضيف إلى حديثه الطويل عن الموت و القبور حديثا عن البعث والنشور، ولكنه لا يسترسل في ذكر عذاب الجحيم و نعيم الجنان، بل يلم إلماما بالبعث و الحساب على شاكلة قوله[1]:

فلو أنَنَّا إذا متنا تُرِكْنا لَكَان المَوتُ غَايَة كُلِّ حيٍّ

و لكنَا إذَا مُتْناَ بُعِثنَا و يُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِ شَيْء

و يتسع أبو العتاهية في أشعاره الزاهدة حتى لتؤلف و حدها ديوانا كاملا و فعلا جمع منها "ابن عبد النمري الأندلسي" ديوانا مستقلا، وقد بني اليسوعيون على نشرتهم لأشعار أبي العتاهية باسم "الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية " ضامّين إلى رواية "النمري" ما تيسر جمعه من أشعار الشاعر وقصائده.

وأبو العتاهية في زهدياته كما رأينا يطيل الحديث عن الحياة والموت والفناء ومصير

الإنسان، ويتحول بجانب ذلك إلى ما يشبه واعظا، وهو في عظاته يستمد من القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و وعظ الوعاظ أمثال "الحسن البصري"[2]. فهو يرتدي ثوب

[1] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص 250.

[2] المرجع نفسه، ص 250.

الواعظ الحكيم ويملي على الناس عظاته و يحذرهم من يوم الحساب و يدعوهم إلى التزود قبل الرحيل، ويعتمد على المعاني الدينية، ومن مواعظه قوله[1]:

أَيا نَفْسُ لا تَسْتَوْطِنِي دَارَ قَلْعة لَكِ الوَيْلُ إنْ أعطَيْتِهِ بِشَمَالَــك

أيَا نَفْسُ لا تَنْسِ كِتَابَك واذْكُرِي فَدونَكْه مِنْ قَبْلِ يَوْمَ اسْتَشْغَالَكِ

أيَا نَفْسُ إنَ اليَوْمَ يَوْمُ تَفــرُغُ جَوَابًا ليَوْمِ الحَشْرِ قَبْلَ سُؤَالَــكِ

و مَسْؤُولَةُ يَا نَفْسُ أنْتِ فَيُسْرَى إلَى خَيْرِ مَا قَدَمَتْهُ مِنْ فِعَالَكِ

ومِسْكِينَةُ يَا نَفْسُ أنْتِ فَقِيــــرَة إذا مَا نَجَوتَ لا عَلَيْك ولا لك

2. موضوعات الزهد في شعر أبي العتاهية

لقد أملى العصر العباسي على معظم الشعراء خوض أغراض الشعر لمجاراة الحياة الاجتماعية، ومن بين هذه الأغراض شعر الزهد، وأبو العتاهية كشاعر عباسي طرق هذا المجال و أبدع فيه، وعند دراستنا لشعر الزهد عنده وجدناه يشتمل على الموضوعات الآتية:

أ. الموت

فكرة الموت ذلك المصير المحتوم للإنسان بل لكل حي كانت أقوى أسلحة أبي العتاهية

[1] فوزي عيسى، فوزي أمين، المرجع السابق، ص 384.

يعزف عليها فيزلزل قلوب العصاة والمؤمنين على السواء، فهو يخاطب الإنسان الذي نسي الموت و يطلب الخلود في الدنيا قائلا : لا تثق بالدنيا وبالصحبة فيها فالموت يأتي ويفرق هذه الجماعة ، ثم يأتي له بدليل آخر على الموت ألا وهو موت الأبوين قال[1]:

أَنْساكَ مَحْيَاكَ المَمَاتَا فَطَلَيْتَ فِي الدُّنْيَا النَبَاتَا

أوَثِقْتَ بالدُنْيَـــــا وأنْ تَ تَرَى جَمَاعَتِهَا شَتَتَا

يَا مَنْ رَأى أبَويْه فِـي مَا قَدْ رَأى كَانَا فمَاتـــا

تلك النصيحة تسوي بين جميع البشر فمصيرهم واحد إلا أن الحياة تنسيهم الموت زورا و بهتانا، لقد استعمل الشاعر أبو العتاهية في الأبيات السابقة أسلوب الاستفهام ليكون الخطاب أشد وقعا و أثرا في النفس عن ذكر الموت[2].

[1] ديوان أبي العتاهية، ص48.

[2] زينب عبد الكريم الخفاجي، ظاهرة الزهد في العصر العباسي (زهد أبي العتاهية نموذجا)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية و الإنسانية، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، جامعة بابل، العدد27، حزيران، 2016م، ص309.

ب. الدنيا

قال تعالى: (وما هذِه الحَياة الدُّنْيَا إلاّ لَهْوٌ و لَعِبٌ وإنَّ الدَّارَ الآخِرَة لَهِيَ الحَيوَانُ لو كَانُوا يَعْلَمُونَ). فالدنيا متاع زائل وعبث باطل و تمني النفس أماني يفني الإنسان عمره في سبيل تحقيقها، و الشاعر أبو العتاهية يحتقر الحياة الدنيا و يعظم الآخرة فيقول في غرور الدنيا[1]:

نَصِبْتِ لَنَا دُونَ التَفَكُــرْ يَا دُنْيـــــا أَمَانِي يُفْنِي العُمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْنَى

حَتَى تَتْقَضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ وَصِلاَ إلَى حَاجَةِ حَتَى تَكُونَ لَهُ أُخْــرَى

فالشاعر عمد إلى التشخيص فجعل من الدنيا شخصا ينصب شباكا ليصطاد بها وكأن الدنيا تنصب للإنسان حبال الأماني ليقع في شركها. فالأبيات قريبة من النثر تخلو من الموسيقى و اعتمدت البحر الطويل لتعطي النفس الإنسانية نفسية في التأمل و التفكير في هذه الدنيا الفانية.

ت. الوعظ و النصح

كان أبو العتاهية متعدد الجوانب موزع النشاط و مفتاح تلك الشخصية المعقدة شعوره بالنقص بسبب منبته المتواضع، وقد دفعه ذلك الشعور في اتجاهين رئيسيين الأول دفعه إلى

[1] زينب عبد الكريم الخفاجي، المرجع السابق، ص 311.

مهاجمة الطبقات العليا في المجتمع، وصار بذلك من الثوار والمتمردين. أما الثاني فدفعه إلى أن يلبس مسوح الوعظ و المتصوفين لكي يتلقى معهم تكريم العامة واحترامهم، و صار بذلك من دعائم الاستقرار وحماة الآداب والتقاليد[1]. والقارئ لشعر أبي العتاهية يرى فيه قدرا كبيرا من الوعظ الخالص، ومنه قوله[2]:

أَتَلْهو وأَيَّامُنَا تَذْهَـــبُ و نَلْعَبُ والمَوتُ لا يَلْعَبُ

عَجِبْتُ لِذِي لَعِب قَدْ لَهَا عجِبْتُ و مَالِي لاَ أعْجَبُ

أَيَلْهُو و يَلْعَبُ مَن نَفْسَهُ تَمُوتُ ومَنْزِلُهُ يَخْـــرَبُ

تَرَى كُلَّ ما ساءنا دائما على كُلِّ مَا سَرَّنَا يَغْلِـبُ

استهل الشاعر هذه الأبيات بالاستفهام الذي يحمل في طياته الاستغراب و التعجب ممن يلهو في هذه الدنيا و هو يعلم أنه سيموت، وأن منزله الذي يعمره سيخرب، ويعلم كذلك أن الأحزان في هذه الدنيا أكثر من السرور، فنصيحته في هذه الأبيات هو عدم اللعب

[1] زينب عبد الكريم الخفاجي، المرجع السابق، ص311.

[2] محمود لطفي نايف عبد الله، التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري (دراسة موازنة)، أطروحة الماجستير في اللغة العربية و أدابها ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2009، ص69.

واللهو. وقد وصل الأمر بالشاعر أن يقدم النصح و الوعظ حتى للخلفاء والحكام، و هاهو يعظ الرشيد بقوله[1]:

لاَ تَأْمَنِ المَوْتَ فِي طَرْفِ و لاَ نَفْسِ وإِنْ تَمَنَعْتَ بالحُجَابِ و الحَرَسِ

فَما تَزَالُ سِهَامُ المَوْتِ نَا فـــــــذَةً فِي جَنَبِ مَدَّرِعِ مِنْهَا و مُتَّـــرَسِ

تَرْجُو النَجَاةَ و لَمْ تَسْلُكْ مَسْلَكَـــــهَا إنَّ السَّفِينَةَ لاَ تَجْرِيْ عَلَىَ اليَبْسِ

لقد بدأ الشاعر أبياته بالحديث عن الموت وأنه لا يؤمن جانبه حتى لو كان في حصن حصين لنفسه و بيته، وفي البيت الثالث كلمات موحية و معبرة وعظيمة في مدلولها، فهو يضرب المثل بالإنسان الذي يريد النجاة من الغرق في الآثام ولا يستعد لهذه النجاة كالسفينة التي تحتاج الماء لكي تجري فهي لا تجري على الأرض اليابسة[2].

ث.ذم حياة الملوك

إن منبت أبي العتاهية المتواضع جعله يهاجم الطبقات العليا كالملوك و الخلفاء و ذوي المكانة و الجاه و أصحاب المال فيقول في ذلك[3]:

وكَمْ مِنْ عَظِيمِ الشَأْنِ فِي قَعْرِ حفْرَةٍ تَلَحَّفَ فِيا بالثَّرَى و تَسَرْبَلَا

---

[1] ديوان أبي العتاهية ، ص115.

[2] محمود لطفي نايف عبد الله، المرجع السابق، ص70.

[3] المرجع نفسه، ص 79.

لقد بدأ أبو العتاهية باستخدام "كم" الخبرية التي تفيد التكثير أي أن هناك كثيرا من أصحاب الجاه و السلطة عندما وضعوا في حفرة القبر لم ينزل معهم من حطام الدنيا شيء فأصبح التراب هو لباسهم و فراشهم، وهذا المعنى مستمد من قوله تعالى:(ولَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَأكُمْ ورَاء ظُهُورِكِمْ) .

لقد كان أهل عصر أبي العتاهية واثقين من نقمته على الفروق الطبقية و الأوضاع الاجتماعية الجائرة، وتلك حقيقة لم يكن يحاول هو نفسه إخفاءها، وكان منظر المواكب الضخمة يؤذيه أشد إيذاء، فلا يملك الصبر على ما يراه ومن ذلك ما رواه صاحب الأغاني من أن "حميد الطوسي" مر في موكبه وبين يديه الفرسان و الرجالة، و حميد واضع طرفه على معرفة فرسه والناس ينظرون إليه و يعجبون منه، وهو يلتفت فقال أبو العتاهية[1]:

لِلْمَوتِ أبْنَاءُ بِهِـــمْ مَا شِئْتَ مِنْ صَلَفِ وَتِيهِ

و كَأَنَنِي بِالمَوْتِ قَّدْ دَارَتْ رَحَاهُ عَلَى بَنِيـهِ

فهو يصور الموت بالرحى إذا دارت لم تقف بين أحد إلا من تخطى فيعمر و يهرم.

[1] محمود لطفي نايف عبد الله، المرجع السابق، ص 79.

ثانيا: دوافع الزهد عند أبي العتاهية

هناك أسباب كثيرة دفعت أبي العتاهية إلى الزهد منها:

أ. **العامل الديني:** لعلّ الأمر ليس صعبا ولا جديدا إذا قلنا أن أبا العتاهية كان مطعونا في دينه أصلا قبل أن نناقش تمسكه الديني ومطعونا في أخلاقه وتصرفاته، فقد وجّهت تهمة الزندقة إلى الشاعر أكثر من مرة، وربما كانت تهمة الزندقة متأتية من عدة مواضع[1]:

- أن تهمة الزندقة كانت شائعة جدا في العصر العباسي وأخبارها مبثوثة في الكتب لا تحتاج إلى دليل.
- سلوكه المشين أيام شبابه دفعه إلى اتهامه بالزندقة أيضا.
- كثرة بكائه ورثائه لـ "علي بن ثابت" وكان قد قتل على زندقته قد دفعت إلى اتهامه بالزندقة.

[1] م.م لمى سعدون جاسم، الزهد في شعر أبي العتاهية، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 1/21، كلية الآداب –الجامعة الإسلامية، ص 10.

ب. **العامل الدنيوي** الذي يرجح أن أبا العتاهية ذهب مذهب الزهد بسببه كثيرا منها:

- الكآبة والعزلة التي عانى منها الشاعر خاصة بسبب الصدمات التي وقعت له جراء فشله في حب "عتبة" التي أخلص لها الحب.
- وهناك دافع آخر نراه وجيها في تبرير زهد أبي العتاهية وهو الاستعداد النفسي لدى أبي العتاهية[1].
- أما السبب الآخر الذي ربما يكون قد دفعه إلى الزهد فهو ما عناه لكونه ابن لأسرة فقيرة وذلك ما جعله زهيدا في متع الحياة.

[1] خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية المسيرة أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، دار مكتبة الهلال، د ط، بيروت، 1987، ص 84.

المبحث الثاني: مظاهر الزهد في شعر أبي العتاهية وقيمته الأدبية

سنحاول في هذا المبحث التطرق لمفهوم الزهد عند أبي العتاهية ومظاهره وكذا قيمته الأدبية.

أولا: مفهوم الزهد عند أبي العتاهية ومظاهره

1. مفهوم الزهد عند أبي العتاهية

يعرف أبو العتاهية الزهد أنه التخلي عن مباهج الدنيا وزينتها والإقلاع عنها والعكوف على العبادة وتقوى الله بعيدا عن الملذات و الشهوات، ومجاهدة النفس وترويضها على احتمال الجوع و الخلوة، ومن أسس الزهد عنده القناعة والرضا بما قسم الله للعبد وتذكر الموت دائما فهو النهاية المحتومة للجميع فهو لا يختلف كثيرا عن فهم الزهاد[1].

2. مظاهر زهد أبي العتاهية

في أخبار أبي العتاهية أنه عندما زهد فرض على نفسه بعض الالتزامات برغبته ومحض إرادته وأول هذه المظاهر:

[1] أحمد حبر حسين شعت، فن الزهد في شعر أبي العتاهية رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية للدراسات العليا، 1408 هـ- 1988، ص43.

- لبس الصوف: إن الشاعر بعد الاعتزام على الزهد لبس الصوف وامتنع عن قول الغزل بالرغم من تضييق الرشيد عليه وحبه.
- اعتزال الناس بحيث يروي ابنه محمد بن أبي العتاهية أن أباه بعد أن خرج من سجن الرشيد "لزم بيته وقطع الناس" وحاول الرشيد أن يبثنيه عن ذلك لكنه كتب إليه بيتين يعلن فيهما برمة بالناس وأخلاقه واستئناسه بالوحدة[1]:

برمت بالناس وأخلاقهـــم فصرت أستأنس بالوحدة

ما أكثر الناس لعمري وما أقلّهم في حاصل العــدّة

- الصوم عن الكلام والحج في كل عام فيروى أنه فرض على نفسه وهو في السجن ألا يتكلم إلا بالقرآن الكريم أو بـ "لا إله إلاّ الله" ومكث هكذا سنة كاملة ويذكر بعض معاصريه أنه كان يحج في كل عام.
- الحجامة فاتخذ أبو العتاهية الحجامة مظهرا من مظاهر الزهد حيث قعد لتحجيم العامة خاصة اليتامى والفقراء تواضعا منه، وليكسب بما فعله الثواب كما يقول[2].

---

[1] أحمد حبر حسين شعت، المرجع السابق، ص 43.

[2] المرجع نفسه، ص 44.

3. مظاهر الزهد في شعر أبي العتاهية

- **ترك بهائج الدنيا:** قال أبو العتاهية يخاطب الدنيا ويبكيها عن الغرور[1]:

قطعت منك حبائل الآمـــــال وحططت عن ظهري المطي رحالي

ويئست أن أبقى لشيء نلت مما فيك يا دنيا وإن يبقا لـــــــــي

فوجدت برد اليأس بين جوانحي وأرحت من حلي وترحالـــــــــي

ولئن يئست لا رب برقة خلـــب برقت لذي طمع وبرقة آلـــــــي

فالآن يا دنيا عرفتك فاذهبـــــي يا دار كل تشتـــــــــت وزوال

والآن صار لي الزمان مؤدبـــا فغدا علّي وراح بالأمثـــــــال

والآن أبصرت السبيل إلى الهدى وتفرغت هممي عن الأشغـــــال

ففي البيت الأول يخبرنا أبو العتاهية أنه قطع صلته بالدنيا وزّق شباك الأمل فيها ورجع عن الرحلة إليها، وعدل عن الجري وراءها والسعي في طلبها، بحيث يذهب في البيت الثاني ليبين لنا بأنه يئس من بقائه لما ملك من حطام الدنيا، لهذا لا يريد أن يربط نفسه به ولا يعول عليه ولا يهتم به[2]، ولمّا يئس من الدنيا وما فيها استشعر الراحة والهدوء وأحس

---

[1] ديوان أبي العتاهية، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 4، 2004، ص 166.

[2] ينظر: مصطفى السيوفي، أمراء الشعر في دولة بني عباس، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة– مصر، ط1، 2008، ص 100.

القرار والسكون لأنه تخلص من متاعبها، وهدأ من العمل لها والشقاء فيها وعني عن الكثير منها بالقليل، وإن كان قد يئس من الدنيا وما فيها وأراح نفسه عن السعي وراءها، فإن لها وسائل خادعة وظواهر مغرية بالغفلة عن حقيقتها، أما في البيت الخامس فهو يخاطب الدنيا ويخبرها بأنه فهم حقيقتها وعرف أخبارها وكشف أستارها فهو يطلب منها الذهاب والابتعاد عنه لأن غايتها التفرق ونهايتها الفناء ولا معنى لمصاحبتها، لأن الزمان قد علّمه حقائق الحياة وكشف له عن كثير من العبر والعظات، وعرف الدنيا على حقيقتها وأبصر الطريق إلى الهدى[1].

- **رهبة الموت:** فأبو العتاهية الذي يذكر الناس بالموت وآلامه وأهواله المرعبة نراه يرتعد من ذكره ويجزع منه جزعا شديدا، وقد ملك عليه حواسه وشغل كل تفكيره حتى أصبح لا يفكر في شيء سوى الموت، إذ يقول[2]:

لقد لعبت وجدّ الموت في طلبـــــــي وإن في الموت لي شغلا عن اللعب

أصبح لي في الموت شغل عن الصبا وفي الموت شغل شاغل لذوي العقل

[1] ينظر: مصطفى السيوفي، المرجع السابق، 101.

[2] أحمد حبر حسين شعت، المرجع السابق، ص 103.

والموت يطالعه في كل ناحية وله عيون ترقبه وترصد خطواته ليلحق به بمن مضى؛ إذ يقول[1]:

أرى الموت حيث اعتمدت كميــنا فأصبحت مهموما هناك حزينا

سيلحقني حادي المنايا بمن مضى أخذت شمالا وأخذت يميــنا

علينا عيون للمنون خفـــــــية تدّب دبيبا بالمنية فيـــــنا

- **أهوال الموت:** يقدم لنا الشاعر في حديثه عن الموت منظرين يطيل الوقوف عليهم وهما منظر سكرات الموت وتجرع الموت غصصه، ومنظر القبور وهو يتخير دائما الأوضاع التي تثير في النفس الانقباض والوحشة والرعب والفزع، ويقصد إلى ذلك قصدا بأنه حريص على أن يثير في نفس سامعه هذه المشاعر، وكأنه يريد أن يحطم أعصابه ويتركها تنهار تحت قبضة الموت الرهيبة[2]. فالمنظر الأول يتحدث فيه عن ساعة الاحتضار ويصف ما يعانيه من كرب الموت وغصصها، وقد أخذت روحه تنحشر في صدره وغصص الموت تتردد في حلقه ومقلته تدور ولا أحد يستطيع دفع ذلك عنه؛ إذ يقول:

[1] أحمد حبر حسين شعت، المرجع السابق، ص 104.

[2] المرجع نفسه، ص 106.

يا كربتي يوم لا جار يبر ولا مولى ينفس إلاّ الله كربتـــــــــيه

يوم أقلب فيه شاخص بصري تميد بي في حياتهن الموت سكرتيه

إذ تمثل لي السياق وقـــــــد قلّبت طرفي وقد رددت غصّتـــيه

أما المنظر الثاني فيتعلق بالقبور بحيث ينقلنا أبو العتاهية بعد سكرات الموت و غصصه إلى المقابر و ظلماتها بين الأجساد العفنة و العظام النخرة و الجماجم العارية وكأننا داخل قبور حقيقية[1].

وأكثر ما يقف عنده في شعره المقابر تلك المقارنة بين حال أهل القبور من قبل في الدنيا كانوا يتمتعون بالحياة و النعيم و حالهم في قبورهم، و قد تغيرت ملاحهم و أكلت الأرض أجسادهم فلم يبق منها سوى عظام نخرة وجماجم عارية. و هو يحاول استخلاص العبر من ذلك وتذكير الإنسان بمصيره، كما صار إليه أولئك الذين كانوا يستمتعون بالحياة يوما ثم طوتهم يد الموت و ألقتهم في القبر، إذ يقول[2]:

ألا أين الألى سلفوا دعوا للموت واختطفوا

فوافوا حين لا تحف ولا ترف ولا لطـــف

[1] أحمد حبر حسين شعت، المرجع السابق، ص 106، 108.

[2] المرجع نفسه، ص 106، 108.

ترص عليهم حـــفر وتبنى ثم تنخســف

لهم من تربها فرش ومن رضراضها لحف

تقطع منهم سبب الر جاء فضيعوه و جفوا

ولكثرة ما وقف أبو العتاهية أمام الموت متعظا واعظا حتى كاد أن يسمى شاعر الموت، يقول[1]:

تعلقت بآمـــــال طوال، أيّ أمـــــال

وأقبلت على الدنيا ملحا، أي إقبـــــال

أيا هذا أتجهر لفرا قي الأهل والمـــــــال

فلا بد من الموت على حال من الحـــــال

في نبرته دائما سمة الزجر والمخاطبة لمن تناسى حقيقة الموت، والناس كلهم يتناسون وحقّ لهم أن يتناسوا وإلا هلكوا يأسا وقنوطا، فيأتي أبي العتاهية يصحّيهم ويهز فيهم مشاعرهم الدفينة اتجاه الموت رحمة بهم لا نقمة عليهم ولا تشفيا، حيث أنه في البيت الأخير

[1] خليل شرف الدين، المرجع السابق، ص 142.

كثير من التقريرية في قالب حكمة متداولة لكن المهم فيها عنصر الإثارة، وتلك لابد وما في حتميتها من رهبة تجعل الإنسان رهين هاجسه الأبدي الموت[1].

كما يقول[2]:

الموت لا والد يبقى ولا ولـــد ولا صغيرا ولا شيخا، ولا أحـــدا

للموت فينا سهام غير مخطئة من فاته اليوم سهم، لم يفته غدا

ما ضرّ من عرف الدنيا وغرتها ألا ينافس فيها أهلها أبـــــــدا

حبّذا، لو استرسل في التأمل عبر الموت ولم يتفلسف مستنتجا أن على الإنسان الذي خيّر الحياة ألا ينافس فيها أهلها أبدا ...وإذا كان يعني بالمنافسة التكالب والاستئثار فلا بأس ... ولكن المنافسة غير التكالب.

وفي ما يلي أبيات يصف فيها زوال العمر، وقد وفّق في تصوير الموت وتصوير نفسه توفيقا فنيا ملحوظا يقول[3]:

---

[1] خليل شرف الدين، المرجع السابق، ص 142.

[2] المرجع نفسه، ص 195.

[3] المرجع نفسه، ص 195.

أضيع من العمر ما في يدي وأطلب ما ليس لي بيـــــدي

أرى الأمس قد فاتنـــــي ردّه ولست على ثقة من غـــــد

وإني لا جري إلى غايـــــة قد استقلّ الموت لي مولدي

وما زلت في طبـــقات الردى أصعد في مصعدي مصعد

وأوشك عمّا قليل أكـــــــون من الموت في البرزخ الأبعد

يبدو هذا التحليل تحليل رائع لنفسية الإنسان عبر إنسانيته، يضيع ما بيده ويطلب من غيره المستحيل، والإنسان حائر بين عجزه عن ردّ الوفاة وبين عجزه عن معرفة ما هو آت والموت قابض على البدايات والنهايات، وما بينهما من غايات أما ما بعد الموت طبقات فوقها طبقات ويظن أبو العتاهية أنه في البرزخ الأبعد[1].

رغم كل شيء فلا نرى الشاعر يدعو إلى ترك العمل وهجر الحياة إلى عزلة تامة ولا إلى قطع النسل بعدم الزواج، وتحريم أكل اللحم، فنجده يدعو إلى العمل والسعي والمتاجرة على عكس ما اتهمه به البعض، ورغم شبح الموت الذي خيّم على نفسه وفكره وشعره فقد دعا إلى القناعة والرضا بالقليل؛ يقول[2]:

---

[1] خليل شرف الدين، المرجع السابق، ص 196.

[2] المرجع نفسه، ص 145.

ما شرف المرء كالقناعة والصبر على كل حادث يقع

لم يزل القانعون أشرافـنا يا حبّذا القانعون ما قنعــوا

وكأنـه يحس أنـه لـم يكن من القـانعين أيـام غلـواء شبـابه وهـو فـي حرصـه علـى جمـع المـال وانتهاب اللّذات قد تجاوز حدّ القانعين، فوعظ الناس وحثّهم عليها ولا يظن صاحب هذا الكتاب "خليل شرف الدين" أن أبو العتاهية كان يعظ نفسه ويطهرها حتى إذ حرّره الزهد من الجشع والطمع، هتف قائلا[1]:

لما حصلت على القناعة لم أزل ملكا يرى الإكثار كالإقلال

إن القناعة بالكفاف هي الغنــى والفقر عين الفقر بالأموال

وطالما رأيناه يكرّر هذا المعنى في مواعظه وكأنه تكفير عمّا وقع هو فيه، وتطهير لنفسه من أوضاره وأوزاره.

- **النسك** وله في معنى النسك والتقوى أحاديث عن التواضع و ترك التيه والتخلق بخلق عباد الرحمن الذين يمشون في الأرض هونا كما جاء في الكتاب العزيز إذ يقول[2]:

---

[1] خليل شرف الدين، المرجع السابق، ص 146.

[2] محمد زعلول سلام، الأدب في عصر العباسيين منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، د ت، ص 201.

حَتَى مَتى ذُو التِّيه فِي تَيْهِ أَصْلَحَهُ اللَهَ و عَافَــاهُ

يَتِيهُ أَهْلَ التِيهِ مِن جَهْلِهِمْ و هُمْ يَمُتُونَ وإنْ تَاهُــوا

مَنْ طَلَبَ العِّز لَيَبْقَى بــهِ فَإنَ عَزَّ المَرْءِ تَقــــوَاهُ

لَمْ يَعْتَصِمْ باللّهِ من خَلْقِهِ من لَيْسَ يَرْجُوهُ و يَخْشَاهُ

واتكأ على هذا المعنى وهو ترك الخيلاء و التيه، فدعا إلى التواضع لأن مصير الإنسان إلى التراب، يقول[1]:

أيَا وَاها لِذِكْرِ اللّه يا وَاها لَهُ واهَــــــا

لَقَدْ طَيَّبَ ذْكْر اللَّهِ بالنسيج أفَواهَــــــا

فَيا أَنْتُنْ من حُشَ عَلَى حُشِ إذَا تــــاهَا

أرَى قَومَا يَتِيهــُونَ حُشُواشَا رُزِقُوا، جَاهَا

ويقول:

لِلْمَوتِ أبْنَاءُ بِهِمْ مَا شِئْتَ مِنْ صَلَفِ وتِيهِ

وكأَنَنِي بالمَوتِ قَدْ دَارَتْ رَحَاهُ عَلىَ بَنِــيهِ

كأن أبا العتاهية يستحضر صورة الفناء و الموت في مواجهة هذا التياه المتكبر لأنه

[1] محمد زعلول سلام، المرجع السابق، ص 202.

صاحب جاه، كأنه ملك الدنيا فنسي الموت، ولو ذكره لتطامس له وطأطأ. وربما كان هذا الموقف من أبي العتاهية مدفوعا إليه لما شاهده ويقع تحت عينيه في مجتمع بغداد من هذا التفاوت الشديد بين الناس من أغنياء قد أغرقوا في المال ، ودفعهم الثراء إلى التكبر على غيرهم من عباد الله ممن لا يمتلكون قوت اليوم[1].

ويقف أبو العتاهية مع هؤلاء المظلومين مكدودين، مطمئنا مقنعا، مذكر بأن هذه النعمة مهما دامت فهي إلى الزوال، فلعل هذا الصوت نفسه يبلغ المتباهي بماله و جاهه فيهده من تيهه و خيلائه إذ يقول[2]:

هَذَا زمَانُ قَدْ تَعَوَّدَ أَهْلَهُ تَيْهَ المُلُوكِ و فِعْلَ مَنْ يَتَصَدَّقُ

ويقول[3]:

المَوتُ بَيْنَ الخلق مُشْتَــركُ لاَ سُوقَةُ يَبْقَى ولاَ مَلِـــــكُ

مَا ضَرَّ أَصْحاب القليل ومَا أَغْنَى عَنْ الأَمْلاَكِ مَا مَلَكُوا

و يعود مرة أخرى ليذكر بأن التقوى هي الزاد الباق، وأن الرجاء في الله هو الأمل، و ذلك كله ضابط السلوك و مقوم الإنسان في الدنيا ليحي مع سائر الخلق سالما مطمئنا راضي النفس.

---

[1] محمد زعلول سلام، المرجع السابق، ص 202.

[2] المرجع نفسه، ص 202.

[3] المرجع نفسه، ص 203.

ثانيا: القيمة الأدبية لزهد أبي العتاهية

1. فنه الشعري

يعد أبو العتاهية من المطبوعين الذين يجري الشعر على لسانهم و ينثال انثيالا لا يتكلفه، مثله في ذلك مثل السيد الحميري و بشار، و شعراء الطبع في عصره، و كان أو العتاهية لسهولة الشعر عليه كثيرا ما يرتجله، فلا يتكلفه ولا يثقفه ومن هنا جاء اختلاطه وجمعه بين الغث والثمين.

ولفظه سهل مما يجري على ألسنة الناس، و بخاصة موضوعات الزهد و المواعظ والحكمة، لأنه يوجهه إلى العامة و يخاطبهم به ولا يخاطب الخاصة ولا الملوك[1].

2. قيمة زهده

أظهر أبو العتاهية في زهديته ازدراء من حياة جمة وقد لفها بغشاء كالح السواد من شأنه أن يبعث على اليأس والقنوط إلا أنه من تشاؤمه قد أسدى إلى الناس نصحا ذا قيمة حقيقية ووجه كلامه إلى عقولهم مقدما لها البراهين والحجج غير مكتفي بأساليب الأقدمين الاختيارية فهو في عصر الفلسفة و التفكير وهو في عصر علم وجدل وهو في عصر نصب فيه للعقل

[1] محمد زعلول سلام، المرجع السابق، ص 204،205.

عرش رفيع واستقى أفكاره من كتب الدينية و نظريات الفلاسفة كما استقاها من عالم التجربة و الاختبار، وراح يدعوا إلى القناعة لأن الدنيا دار الفناء[1] ، و الآخرة خير منها فما يبنى للخراب ومن يولد يولد للموت و ما يجمع يجمع للتفريق، و ما يعتني به من أمر جسدي آخرته الفناء، وما يضحك لا يضحك إلا ليبكي فعلى الإنسان أن يعيش كمن سيموت يكتفي بالضروري ويتسلح بالتقوى وهكذا يتأهب للآخرة، ويذخر لنفسه أجرا عند الله إذ ذاك إلى عزلته سيشد الاتصال بالله عن طريق التصوف فلم يحظ بالكشف فتوجه إلى مكة وأقام بها نحو 15 سنة في الصلاة والتجريد ثم قصد مصر فلقي فيها إكراما وحفاوة[2].

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 719.

[2] المرجع نفسه، ص 719.

كشفت هذه الدراسة على أن الزهد ظاهرة ضرورية تشيع في المجتمعات الإنسانية كغيرها من الظواهر الأخرى، كما أنه ظاهرة عامة تنشأ في أحضان الدين وتتطور في نطاقه وتتجه إلى قواعده وأصوله؛ لتستمد منه العون على مجابهة الحياة بحيث تبين لنا من خلال هذا البحث ما يأتي:

- الزهد مقام رفيع لأنه سبب لمحبة الله تعالى لذلك حثّ عليه الكتاب والسنة وأشاد بفضله أئمة الدين.
- الزهد سبب السير والوصول إذ لا سير للقلب إذا تعلق بشيء سوى المحبوب.
- الزهد هو الانصراف عن الدنيا ومفاتنها والتمسك بالتقوى والعمل الصالح مع السعي للكسب.
- كانت الأحوال السياسية والاجتماعية من الأسباب التي عملت على تقوية النزعة الزهدية.
- انتشر شعر الزهد انتشارا واسعا لاسيما في القرنين الثاني والثالث للهجرة، وكان أكثر اتصالا بحياة الجماهير من غيره إذ أنه لم يكن يعرف الترف، بحيث كان الزهاد يعيشون حياة دينية مستقيمة يشيع في بعض جوانبها النسك والعبادة.
- يعتبر أبو العتاهية من الشعراء الأوائل الذين تكلموا في الزهد ودعوا إليه ومردّ ذلك أن الزهد نشأ نشأة إسلامية خالصة منبثقا من القرآن والسنة النبوية، وهذا لا يعني الانقطاع عن الدنيا.

- يعدّ أبو العتاهية من أشهر شعراء الزهد والحكمة في الأدب العربي إذ يعتبر أحد أبرز شعراء العصر العباسي انقطع إلى الزهد في أواخر حياته وأكثر من ذكر القبر واللحد وذكر الموت والبعث والوعد والوعيد.
- أبو العتاهية جعل من شعره وسيلة للإرشاد والوعظ إلا أنه أولى موضوع الموت أهمية كبيرة وكل ما يتعلق به إلى ما يأتي بعده من عذاب القبر إلى يوم القيامة وما يتبعها من أهوال.
- من أهم خصائص مذهب أبي العتاهية الشعري هو السهولة في اللفظ التي تقربه إلى إفهام الناس جميعا، و تحببه إليهم ويأتي بعد هذه السهولة قرب المعنى، و لطفه و براءته من التعمق والتكلف والغموض، وهو لا يركب إلى صياغة الشعر طريقا وعرا.
- من بين العوامل التي خلقت روح الزهد عند أبي العتاهية عديدة و مجتمعة أدت به إلى سلوك هذا النوع من الشعر كل هذه العوامل من مؤثرات دينية و مؤثرات الحياة مثل الإخفاق في الحب و الفقر، كما نستطيع الإدعاء أنه بدأ بزهد بسيط وربما مصطنع و لكنه انتهى إلى الزهد الحقيقي في آخر أيام حياته.
- من زهديات أبي العتاهية الدعوة إلى القناعة والاكتفاء من الدنيا بالقليل وتستدعي منه ذم الحرص والجشع والطمع و البخل، والإقبال على الدنيا و الاستسلام للشهوات و غير ذلك من الصفات المذمومة التي تطبع محب الدنيا بطابعها المميز.

أولا: تعريف الشاعر أبي العتاهية

هو إسماعيل بن قاسم بن سويد بن كيسان العنزي الأديب الصالح الأوحد أبو إسحاق شاعر مكثر، سريع الخاطر في شعره إبداع كان بنظم المائة والمائة والخمسين بيتا في اليوم، حتى لم يكن للإحاطة بجميع شعره من سبيل[1].

ويعد أبو العتاهية من مقدمي المولدين كما يعد من طبقة بشار بن برد وأبي نواس الحسن بن هانئ وأمثالهما.

ولد أبو العتاهية في عين التمر سنة 130 هجري الموافق 748 ميلادي وقد جمع الإمام يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ما وجد من زهديته وشعره في الحكمة والعبر وما جرى مجرى الأمثال في مجلد، بحيث كان أبو العتاهية يجيد القول في الزهد والمدح وأكثر أنواع الشعر في عصره[2].

ثانيا: نشأته

نشأ أبو العتاهية في الكوفة وسكن بغداد وكان في بدء أمره يبيع الجرار فقيل له "الجرار"

[1] محمد عبد الرحيم، ديوان أبو العتاهية موسوعة مملكة الشعراء المتقن في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، لبنان، ط 1، 2008، ص 08.

[2] المرجع نفسه، ص 09.

ثم اتصل بالخلفاء وعلت مكانته عندهم[1]، ولما وفد إلى بغداد حاضرة العلم والأدب في أول خلافة المهدي ومدحه فحظي لديه واختلط ببعض جواريه فعشق منهن جارية تسمى "عتبة" أكثر فيها الغزل حتى همّ المهدي أن يهبها إليه لولا كرهها له فألهاه عن ذكرها بالمال الكثير فلما توفي المهدي واستخلف الهادي تغيرت أخلاق الشاعر، فامتنع عن ذكرها وأخذ في التزهد وأقبل على درس مذاهب المتكلمين وبعض الفرق ولم يأتي عصر الرشيد حتى أضرب عن الغزل وقصر قوله على التزهيد في الدنيا والتذكير بالموت ثم عرضت له حال امتنع فيها عن قول الشعر فأرغمه الرشيد عليه فأبى فضربه ستين عصا وسجنه ولم يطلقه حتى رجع إلى قول الشعر وكان بعد ذلك لا يفارقه في حضر ولا سفر، واتصلت شهرته بالأفاق وتغنى بشعره المغنون وتناجى به الزهاد وسائر الناس على اختلاف طبقاتهم[2].

ثالثا: صفاته وأخلاقه

كان أبو العتاهية سوداوي المزاج ،كثير التردد في أمر الدين ،فتقلب على أطوار شتى[3] كما كان أبيض اللون أسود الشعر له وفرة جعدة و هيئة حسنة، وكان لبق اللسان مذبذب

---

[1] محمد عبد الرحيم، المرجع السابق، ص 09.

[2] أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 13، 1430- 2009، ص 196.

[3] إبراهيم صحراوي، تاريخ آداب اللغة العربية، عاصمة الثقافة العربية، د، ط ، 2007، ج2، ص109.

الرأي مفككا معتل العقيدة لاضطرابه في الآراء وتلونه في النّحل وكان سّيال القريحة، سريع الخاطر، لطيف المعاني، سهل الألفاظ[1] .

رابعا: شعره

كان هذا الشاعر غزير البحر ،كثير الافتتان قليل التكلف ،وأجود شعره ما قاله في الزهد و الأمثال وقد قال الأصمعي: "أن شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والنوى" لأنه كان يرسل الشعر إرسالا عن البديهة من غير تعمل ولا تنقيح على أنه في الطبقة الأولى من المولدين أمثال "بشار بن برد" و "أبي نواس" ، كان يرمي إلى العظة و الزهد، وهو الذي نهج للشعراء مناهج الزهد و العظّات[2] .

خامسا: نفسيته

نشأ أبو العتاهية في عصر امتاز بأزمات نفسية وعقلية وظهور موجة من الشك والحيرة نتيجة اختلاط الأجناس والثقافات، وكان الشعر رفيع المكانة عند الخلفاء، وفي عهد الرشيد أقلع عن الغزل وانصرف إلى الزهد فحبسه الرشيد حتى يعود إلى الغزل ولكن اتجاهه النفسي كان أقوى من أن يقاوم، وإذ كانت له هذه المكانة الاجتماعية راح الكثير من الأدباء والشعراء

[1] إبراهيم صحراوي، المرجع السابق، ص111.
[2] أحمد حسن الزيات، المرجع السابق، ص196.

يعملون بعامل الحسد على الحط من شأنه فاتهموه بالبخل و الزندقة وسوء العقيدة وكتبوا في ذلك روايات كثيرة[1].

سادسا: أعماله الأدبية

لأبي العتاهية ديوان في الزهد جمعه في القرن الحادي عشر ميلادي "أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي"، وله ديوان آخر جمعه "الأب لويس شيخو" فأضافه إلى الأول وطبعه كاملا في بيروت سنة 1887 و هكذا ففي شعر أبي العتاهية قسمان: القسم الأكبر يدور على الزهد والقسم الآخر منظومات مختلفة في كل فنون المعاني من المديح و الرثاء و هيجاء و أوصاف و حكم وأمثال، وكان أبو العتاهية في شعره الزهدي أمام من نظم في هذا الباب وشعره هذا يقوم أساسا على الموعظة وما يتبعها من ذكر الدنيا و تقلبها و سرعة زوالها و الموت وغصصه، والآخرة وأحوالها وهو يقوم من الناحية الثانية على الأخلاق و الحكمة وما يتبع ذلك من نظرات في حياة الناس[2] .

سابعا: آثاره

لم يصل إلينا كل شعر أبي العتاهية ويتفرع ما بلغنا منه إلى قسمين رئيسيين يدور

---

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت – لبنان، د ط، ص 715.

[2] المرجع نفسه، ص 716.

أكبرهما وأوسعهما نطاقا على الزهد والقسم الآخر منظومات مختلفة في شتى فنون الشعر وقد

جمع زهديات أبي العتاهية في القرن الحادي عشر الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي المتوفى سنة 1070 ميلادي الموافق ل 423 هجري، وسائر فنون شعر أبي العتاهية ظلت مبثوثة في كتب الأدب القديمة والمخطوطات المتنوعة إلا أن ضمها الأب "لويس شيخو" الذي نشر ديوان أبو العتاهية ووقف على طبعه سنة 1886 وسماه الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ثم نشر معه طبعة مختصرة تقع في 307 صفحة[1].

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت- لبنان، ط 10، 1980، ص 419.

أولا: الكتب

أ. المصادر

- ابن منظور، لسان العرب، مج3، ج21.
- ديوان أبي العتاهية، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط 4، 2004 .
- الصحاح للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1979، ج2.
- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي و زكريا جابر أحمد دار الحديث للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة،1429 هـ، 2008م.

ب. المراجع

- محمد بركات البيني، الزهاد والمتصوفون، د ط، دار النهضة العربية، 1993
- إبراهيم إبراهيم ياسين، مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار و مكتبة الإسراء للطبع و النشر و التوزيع، ط1، 2005.
- عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التأويل، دار الأمير خالد، د ط، د ت،.
- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت– لبنان، د ط، د ت.

- حامد حفني داود، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، ط،1993 .
- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب في العصر العباسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش، م، م، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
- أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، كتاب الزهد.
- عبد القادر عيسى، كتاب حقائق عن التصوف، د ط.
- محمد عبد المنعم الخفاجي، الأدب العربي و تاريخه في العصرين الأموي و العباسي ، د ط، دار الجيل ، بيروت ، 1410ه، 1990.
- سراج الدين محمد، الزهد في الشعر العربي، د ط ، دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان.

عبد الحكيم عبد الغني قاسم، المذاهب الصوفية و مدارسها، مكتبة مدبولي، ط1 1989،1، ط 2 ،1999 .

- محمد بركات، الزهاد و المتصوفة بلاد المغرب و الأندلس حتى القرن الخامس هجري، دار النهضة العربية، القاهرة، د ط، 1993.
- أبو الوفا الغنيمي التفتزاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي والتوزيع، ط 3.
- وكيع بن الجراح، كتاب الزهد، تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ج1، د، ط، د، د ت.

- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل بيروت لبنان، د ط.
- حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت- لبنان، ط10، 1980.
- أنيس المقدس، أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، دار العلم للملايين، ط20، شباط، فبراير.
- عادل جابر، شفيق الرقب، تاريخ الأدب العربي القديم، دار صفاء، د ط، عمان، 1990.
- شوقي ضيف، العصر العباسي – تاريخ الأدب العربي – ،ج 3، ط 12، دار المعارف.
- مصطفى السيوفي، أمراء الشعر في دولة بني عباس، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة- مصر، ط1، 2008.
- محمد زعلول سلام، الأدب في عصر العباسيين منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، د ت.
- أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، كتاب الزهد، ط1، 1430هـ- 1999م.
- خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية المسيرة أبو العتاهية من الرفض إلى القبول، دار مكتبة الهلال، د ط، بيروت، 1987.

ثانيا: الرسائل والأبحاث العلمية

- ناجية ناجي دخيل الله السعيدي، الزهد في الشعر الأندلسي حتى أواخر القرن3هـ مقدمة للحصول على الماجستير في الأدب.
- محمود لطفي نايف عبد الله، التجربة الزهدية بين أبي العتاهية وأبي إسحاق الألبيري (دراسة موازنة)، أطروحة الماجستير في اللغة العربية و أدابها ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2009.
- أحمد حبر حسين شعت، فن الزهد في شعر أبي العتاهية رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية للدراسات العليا، 1408 هـ- 1988.

ثالثا: المقالات

- بان حميد فرحان، شعر الزهد – النشأة و التطور دراسة تحليلية نقدية – مجلة كلية الآداب، العدد103.
- زينب عبد الكريم الخفاجي، ظاهرة الزهد في العصر العباسي (زهد أبي العتاهية نموذجا)، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية الإنسانية، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، جامعة بابل، العدد27، حزيران، 2016.

- م.م لمى سعدون جاسم، الزهد في شعر أبي العتاهية، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 1/21، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية.